

مرض النوم

بحث تاريخي على معرفة العرب له قبل الانجيز بمخمة قرون

ليس لي من غرض في تدوين هذا المبحث سوى اضافة بيان جديد الى تاريخ هذا المرض الفشاك وليس لي من فضل في تسطير هذه الكلمة - ان كان هناك فضل - سوى ما توخيت من لفت الانتظار الى عبارة وان كانت غير مجهولة ولكن لم يتنبه اليها احد من الباحثين حتى الآن خصوصاً من الذين تولوا كتابة تاريخ هذا المرض تكلم ابن خلدون (١) وعنه نقل القلشندي (٢) بتصرف (٣) على الامير جاحه ملك غانه وقال انه اصيب بعله النوم وان هذه الة اودت بحياته . هذه العبارة قد وردت في الصفحة ٢٠٢ من الجزء الخامس من تاريخ ابن خلدون المطبوع في بولاق سنة ١٢٨٤ وفي الصفحة ٢٦٧ من الجزء الاول من تاريخ الدول الاسلامية بالمغرب الذي طبعه باللغة العربية في مدينة الجزائر سنة ١٢٦٣ (١٨٤٧) البارون دوسلان (٤) . وقد وردت في ترجمة البارون المذكور لهذا التاريخ (ج ٢ ص ١١٥) ولا اتقعد على ترجمة ذلك المستشرق العظيم - سوى انه عر عن « علة النوم » بأنها « السبات » . ولا حاجة بي الى الاشارة الى ما بين المفظين من الفرق الكبير في المعنى والمرمى . ولذلك رأيت من الواجب تنقيح الترجمة في النص القرني الذي كتبه عن مبحثي هذا .

والآن انقل ما رواه ابن خلدون عن « القاضي الثقة بي عبدالله محمد بن واسول من اهل سجلماسة وكان اوطن بارض كوكو من بلادهم واستعملوه في خطة القضاء بها » لقيه بدين سنة ٧٧٦ فخبه عن ملوكهم بالكثير مما كتبه في تاريخه

قال ابن خلدون : « انه اخبره بان السلطان جاحه « اصابت علة النوم وهو مرض كثيراً ما يطرق اهل ذلك الاقليم وخصوصاً الرؤساء منهم يشاده غشى عامة زمائله حتى يكاد ان لا يفيق ولا يستيقظ الا في القليل من اوقاته ويزمن بصاحبه

(١) صبح الاعشى (٢) والحق يقال ان هذه الطبعة متقدمة على طبعة بولاق بنصر مشرين سنة

ويتصل سقمة الى ان يهلك قال فازمنت هذه العلة بمحاظة هذا مدة طامين اثنين وهلك سنة خمس وسعين بعد السبعائة « اي في سنة ١٣٥٤ ميلادية (١) هذا ولقد اهتمت المقامات العلمية بديار اوروبا بهذا المرض الذي عدّه القوم من الامراض الحديثة بناء على مشاهدات سياحيهم وروادهم في اواسط افريقية وفي بعض بقاع الهند . وقد اخذ الافرنج العدة لمحاربة هذا الداء الفتاك واستئصال شأفته ولذلك طرقت « الجمعية الملوكية » بلوغندره باب الحكومة المصرية فجادت عليها منذ سنة ١٩٠٥ باطانة سنوية قدرها الف جنيه تستعين بها هذه الجمعية بما اخذته على نفسها من درس مرض النوم ومكافحته في افريقيا الوسطى وافريقيا الشرقية

يصح لنا حينئذ ان نقول ان كتاب العرب قد اشاروا الى هذا الداء الويل ووصفوه قبل الآن بخمسة قرون وثلاث قرن . وان ذلك كان بالقاهرة على عهد المماليك ويصح لنا ان نضيف على ذلك ان طامعة وادي النيل في العهد الحاضر لم تنتزل عن مكاشها في تلك الايام الخوالي بل كان لها شأن رفان في مكافحة هذه العلة الويلة فقد بلغ مادفتة الخزينة المصرية لهذا الغرض الى الآن ١٤٠٠٠ جنيه ولا اختم هذا البحث دون التعرض الى مسألة لغوية وذلك ان جميع الكلمات المبنية على صيغة فعال تدل على حالة مرضية تستنبط المعنى الذي تدل عليه من مادة الكلمة وجراثومتها . فاذا نظرنا الى العلة التي نحن بصددنا نجد في اللغة العربية كلمة « نوام » ذكرها الغويون حتى القرن السادس للهجرة فقالوا « اخذه نوام بالضم اذا جعل النوم يعتريه » هذا هو تعريف الجوهري وعليه جرى صاحب القاموس من بعده . غير ان ابن منظور الذي اتم تأليف « لسان العرب » في القاهرة سنة ٦٨٩ للهجرة (١٢٩٠ م) اي قبل موت السلطان جالطه باكثر من ستين سنة قد ذكر لهذه الكلمة « نوام » معنى جديداً وتفسيراً لم يصل اليها من تقدمه من اللغويين المعروفين لنا . فقد قال : « اخذه نوام وهو مثل السبات يكون من داء يد » . ثم جاء السيد مرتضى الزبيدي الذي اتم شرح « القاموس » بالقاهرة في سنة ١٢٠٨ للهجرة (١٧٧٢ م) نقل هذا التفسير بنسب وفسد دون

(١) (المقتطف) ذكرنا ذلك بالاسهاب منذ ١٥ سنة في مقتطف مارس سنة ١٩٠٥

زيادة ولا تعليق فقال: « ويقال فلان (يأخذه نوام كغراب) اي (يعتريه النوم) كما في الصحاح ويقال هو مثل السبات يكون من داء يد ، اه
 ليت شعري من اين تلتقط صاحب لسان العرب هذا البيان الجديد لتلك اللفظة اللغوية ؟ هل اعتمد على رجل من اللغويين المتقدمين ام على كتاب من كتب الطب ونحن نجعل هذا وذاك ؟ والا فهل هو يشير الى حالة مرضية وصفها له احد الحجاج الوافدين على القاهرة من اواسط افريقية ؟ (احد زكي)

اللوترية في انكلترا

(٢)

رأي رجال المال

بعد ما فرغ وزير المالية من كلامه على هذا المشروع كما لخصناه في الجزء الاول من هذه المقالة عقبه السيد ادورد كوتس فقال :

حدثت بعض كبار رجال المال في السني حي البورصة والسوق من هذا الموضوع فقال لي احدهم انه ما فتى منذ عهد بعيد معارضا في ادخال اللوترية الى الاعمال المالية اما اليوم فلو كان عضواً في البرلمان لاشار بادخالها وسوت مع المصوتين لها ومعظم الاسباب التي قدمها لتأييد رأيي مالية اكثر منها اديية . انتم كلكم من رجال الدنيا (فضحك البعض وصاح البعض الآخر كلاً) ففطن الخطيب وقال بل انتم من رجال الدنيا ونسألكم (١) (ضحك وهتاف) وانتم خير حكم فيما توحى به اليكم ضمائركم عن مسألة الصدقة والمقامرة . ولست اسمي هذا المشروع قماراً والا فكل رجل من رجال الاعمال يرى مقارماً مجازفاً طول عمره . وانما صمرت هذه البلاد بالمجازفة والافدام على جلائق الاعمال . وامام افاضل مشروعات حجة يستثمرون بها اموالهم اما الفقراء فلا يجدون امامهم سوى مشروعات قليلة

(١) رجال الدنيا منذهم اصطلاح يراد به انهم رجال خبروا الدنيا وتمرسوا باحوالها . وسبب الضحك والاعتراض ان في مجلس النواب سيدة عضواً فيه وهي اللادي استور . فقد قال الخطيب انتم كلكم من رجال الدنيا فان احد الاعداء كلا ففطن الخطيب الى غرضه واصبح خطبه